Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

متقابلين، وكل كلمة فى الشطر الأوّل تطلب مثيلتها من النغم فى الشطر الثانى، ليتكامل لهما العزف، ويحاول ذلك ابن زيدون فى نهايتى الشطرين فى البيت الثالث، فكلمة «وما نَخْشى تفرقنا» فى الشطر الأوّل تقابلها كلمة «وما يرجى تلاقينا» فى الشطر الثانى. وكأن اكتمال الأصوات فى الشطور كان غاية دائمة من غايات ابن زيدون فى إيقاعه الموسيقى، حتى يبلغ من التأثير بشذا أصواته الخلابة كل ما يريد من تأثير فى نفوس قرائه وسامعيه. ويذرف الدموع منشدًا:

بِنْتُمْ وبِنَّا فما ابتلَّتْ جَوانِحُنا ... شوقًا إليكم ولا جَفَّت مآقينا
إذ جانبُ العيش طَلْقٌ من تَألّفنا ... ومورِدُ اللهو صافٍ من تَصافينا
وإذ هَصَرْنا غُصونَ الوصل دانيةً ... قطوفُها فجَنَيْنا منه ماشِينا
لِيُسْقَ عهدكُمُ عهدُ السرور فما ... كنتم لأرواحنا إلّا رَياحينا
ويا نسيمَ الصَّبا بلِّغْ تحيَّتنا ... مَنْ لو على البعد حَيَّى كان يُحْيينا

والتشاكل الصوتى والقرابة واضحة بين كلمات البيت الأوّل، فإنه حين ذكر البلل ذكر الجفاف، وذكر المآقى السائلة بالدموع والشوق الظامئ أبدًا إلى محبوبته. وهذه القرابة بين الكلمات كان يسمّيها القدماء مراعاة النظير، وهى تدلّ بقوّة على تعمق الشاعر فى تصويره وما يحدث فيه من معان متقابلة تقابل الخطوط فى لوحات الرسامين. ويرتفع فى البيت الثانى أمام بصره فردوسه الماضى، ويستعين بالجناس الصوتى على تصوير هناءته فقد كانت موارد اللهو صافية بتصافى العاشقين. ويعود بقوّة فى البيت الثالث الرائع إلى مراعاة النظير، فطالما أظلته هو وولّادة غصون الوصل، وطالما أمالها نحوهما يقتطفان زهرات الحب ويجتنيان ثماره اليانعة. ويرتسم الماضى أمام بصره كأنه قوس قزح البهيج، فماذا يملك إزاءه؟ إنه لا يملك إلّا أن يدعو فى البيت الرابع دعاءً متصلًا لهذا العهد السعيد الذى كان يعبق بأريج حبّه لولّادة ريحانة روحه. والجناس واضح بين الأرواح والرياحين، وكأنه لم يعد يستطيع القرب من معاهد هذه الرياحين؛ ولذلك يكتفى بما اكتفى به المحبّون اليائسون من قبله، إذ يرسلون بتحياتهم – مع ريح الصبا – إلى محبوباتهم. ويتمنّى لوحيّته ولّادة من بعيد لتحيى آماله، بل